إحميدة النيفر

رئيس تحرير مجلة (15-21)/ تونس

❖ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية (2)، بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، 1412هـ/1992، ج3: المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية التربوية، ص 93–112، [20 صفحة من القطع المتوسط].

❋ لغة البحث (الكتاب): اللغة العربية.

❋ مجال البحث (الكتاب): الشخصية الإسلامية – بناء الذات إسلامياً.

❑ ❑ ❑

أبتدأ الباحث دراسته بالشيخ محمد عبده وكيف تربى على يد الشيخ جمال الدين الأفغاني لإدراك معنى الحياة وسبل المشاركة في إثرائها تسنناً بالأنبياء الصالحين رغم اختلاف منهج كل منهما، حيث مال الأفغاني إلى النهج السياسي بينما ركز الشيخ عبده على المنهج أو الجانب التربوي.

ثم ضرب في تربية الشيخ محمد عبده مثالاً وقدوة للطريقة التي تربى فيها ونشأ عليها بجمعه لنزعتين تبدوان متناقضتين:

- نزعة التحرير من الاعتبارات المقيدة للحياة الاجتماعية والتعليمية في عصره.
- ونزعة إلى العزلة ومجاهدة النفس (التصوف).

وكيف أن الشيخ عبده أراد بجمع هاتين النزعتين أن يرسم منهجيته للتغيير والتحديث، وأن يجعل من بناء الذات (عن طريق التربية والتعليم) الإختبار الرئيس من أجل الخروج من دوامة التخلف التي تخضع لها حياتنا الفكرية والاجتماعية والسياسية، ليصل بعدها إلى خلاصة مفادها:

أن مجتمعاً لا يملك مشروعاً تربوياً وفلسفة تعليمية لا يستطيع بحال أن ينهض من أجل تحقيق تقدم فكري واجتماعي وسياسي، لأن التربية والتعليم هما أكبر عوامل التغيير في المجتمعات المعاصرة.

* ثم يتطرق الباحث بعدها إلى فشل المدارس الغربية المعاصرة (الفرنسية بالذات) لعدم مواءمتها للإمكانات النفسية للمتعلم ونموه.

* ليعرج ثانية إلى التراث ويركز على رسالة «أيها الولد المحب» لأبي حامد الغزالي وكيف اهتم الإمام الغزالي بالجانب الذاتي في التربية الإسلامية وسرد خلاصة تجربته هو (أي الغزالي) في مجال تزكية النفوس وتهذيب الأرواح.

فمشكلة التربية عند الغزالي -في أسسها- مشكلة علاقات قبل أن تكون مشكلة معلومات، وأن المبدأ الأساس الذي قامت عليه رسالته هو:

«لاحاجة إلى تكثير التعليم... فالتعليم المجرد لا يكون المرء بنجاة ولا خلاص... والعلم وحده لا يبعد الإنسان عن المعاصي ولا يحمله على الطاعات».

ومن هنا يمكن تلخيص فلسفة الغزالي في التربية والتعليم، من وجهة نظر الباحث، أنها ليست تلقيناً أو تحفيظاً، وإنما هي :

اكتشاف كل متعلم لذاته بنفسه من ناحية، وأن العلم والعمل يجب أن يقرنان مع بعضهما لزوماً من ناحية ثانية.

* وجاء الباحث على شخصية ثالثة، بعد الشيخ عبده والإمام الغزالي، وهي شخصية الشهيد حسن البنا مؤسس حركة الأخوان المسلمين في مصر وكيف اعتقد البنا أن طريق التصوف توصل نهايته إلى الجنة ومرضاة الله، لأن التصوف علم ينظم سلوك الإنسان ويرسم له طريقاً خاصاً لحياته الذاتية مروراً بمراحله من الذكر إلى العبادة فمعرفة الله.

ثم يبين الباحث بعد ذلك كيف فهم البنا الدعوة على أنها تربية وسلوك وأنها يجب أن تؤسس على العلم والتعلم في إطارهما المرجعي: الكتاب والسنة، مبتعداً عن الخلافيات والمشتبهات من الأمور. ثم يخلص الباحث إلى أن البنا قد جمع في منهجه الأعمال الإصلاحية السالفة له في: «حركة واحدة: دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية».

* ثم يجمع الباحث نماذجه الأربعة (الغزالي، الأفغاني، عبده، البنا) ليجد

أنهم انتهجوا فكرة واحدة من أجل إصلاح المجتمع:

«تربية وسلوك مع علم وفهم وحركة وانضباط».

وخرج من دراسته لهذه النماذج أن المشكل يكمن في الجهاز المكلف أو المسؤول عن التغيير والنمو.

* ثم يذهب الباحث إلى التراث ثانية ليدخل في رسالة القابسي (أحوال المعلمين والمتعلمين) التي قامت، برأيه، على مبدأين أساسين هما:

«إجبارية التعليم وضرورة تعليم البنات».

ويخلص إلى أن القابسي أراد أن يقول أن التعليم هو الذي يشكل ذهنية المجتمع ويضع الملامح التي سوف تنطبع بها شخصية الأمة عبر الأجيال المتعاقبة، وأن التعليم والتعلم مفهومان متلازمان وقيمتان حضاريتان غير منفصلتين.

* من كل ما سبق أراد الباحث أن يبين جملة من النقاط التي تؤلف إشكالية القيم التربوية التي نحتاجها اليوم، وهو يدعو إلى بناء الذات الإسلامية عبر المؤسسة التعليمية سواءً أكانت حرة أم حكومية، على اعتبار أنها قادرة على الإستجابة للثابت والمتحول في القيم التربوية: الثابت بنظره هو غير القابل للتطور والمتعلق بالآداب والمناقب والسلوكيات التي يجب أن تتصف بها الذات المسلمة، أما المتغير فهو الذي يمثله عامل الزمن وتبعياته.

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

التربية والتعليم وتغيير المجتمع، النماذج التربوية الإسلامية للتغيير، بعض الشخصيات الإسلامية: تراثية ومعاصرة ومناهجهم في التغيير.

❑ ❑ ❑

ملاحظات:

- لم يحسم الباحث شكل النموذج المطلوب أو يصل إلى نموذجه هو الذي تحدث عنه.
- كان تجميعياً أو توفيقياً بين نماذج خمسة من طرف، وبين التراث والمعاصرة من طرف آخر، ولا بأس في ذلك في الشكل العام، إلا أن رأي الباحث ووجهة نظره الشخصية لم تكن واضحة.
- المقاربات العلمية التطبيقية لبناء الذات الإسلامية عن طريق المؤسسات التعليمية لم تكن واضحة المعالم في ورقات البحث. وبمعنى آخر ربما لم يستطع القارئ أن يأخذ الفكرة العملية المحددة لبناء الذات إسلامياً.

❑ ❑ ❑